مجلة الاجتهاد القضائي - المجلد 13 - العدد 02 - (العدد التسلسلي 27) - أكتوبر 2021 (ص ص: 55 - 66)
مخبر أثر الاجتهاد القضائي على حركة التشريع - جامعة محمد خيضر بسكرة

المصحف الشريف بين قدسيته والممارسات المسيئة له

The Noble Qur'an between its sanctity and offensive practices

د. راحلي سعاد [1]

أستاذة محاضرة قسم (أ)

كلية الحقوق- جامعة الجزائر 1 (الجزائر)

souadrahli1973@gmail.com

تاريخ الارسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر
25 أفريل 2021	06 جويلية 2021	31 أكتوبر 2021

الملخص:

يعتبر القرآن الكريم آخر الكتب السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، وهو الكتاب المقدس الوحيد الذي لم يكن عرضة للتحريف. والمصحف الشريف باعتباره جامع سور وآيات القرآن لا يقل قداسة عن هذا الأخير، ورغم كونه من المقدسات الإسلامية إلا أنه تعرض للإساءة من قبل أعداء الإسلام منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وتنوعت الممارسات المسيئة له بين التكذيب لمحتواه ومحاولة تحريف آياته، التدنيس والحرق والإتلاف وغيرها من الممارسات التي يكون الهدف منها الاستهزاء بالدين الإسلامي والمساس بمشاعر المسلمين، وقد اعتبر فقهاء الشريعة الإسلامية أن الإساءة إلى المصحف الشريف كفر وردة، وأكدت الاتفاقيات الدولية على ضرورة احترام المقدسات، كما جرم المشرع الجزائري هذه الأفعال في قانون العقوبات في المادة 160، حيث تناولت هذه المادة الأفعال المسيئة للمصحف الشريف المتمثلة في تخريبه، تشويهه وإتلافه وتدنيسه، كما تناولت العقوبة المقررة لهذه الأفعال التي تتمثل في السجن من خمس سنوات إلى عشر سنوات .

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم،المصحف الشريف، المقدسات، التدنيس، الإساءة.

Abstract:

The Noble Qur'an is considered the last of the divine books that God Almighty revealed to His Noble Prophet, may God bless him and grant him peace, and it is the only holy book that was not subject to distortion. The Noble Qur'an, as it collects the surahs and verses of the Qur'an, is no less sacred than the latter, and despite being one of the Islamic holy sites, it has been subjected to abuse by the enemies of Islam from the time of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him to this day, and its offensive practices varied between denying its content and trying to distort its verses, to profanation. And burning, destruction and other practices that aim at mocking the Islamic religion and harming the feelings of Muslims. Islamic law jurists have considered insulting the Noble Qur'an an act of blasphemy, and international agreements have emphasized the need to respect sacred things, and the Algerian legislator has criminalized these acts in the Penal Code in Article 160. As this article dealt with the offensive acts of the Noble Qur'an represented in sabotaging, distorting, destroying and defiling it. It also dealt with the prescribed punishment for these acts, which is imprisonment from five to ten years.

Key words: *The Noble Qur'an, the Noble Qur'an, sacred things, profanation, offense.*

[1] المؤلف المرسل: د. راحلي سعاد ـــــــــــــــ *Email: souadrahli1973@gmail.com*

IJDL

مقدمة:

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على رسولنا صلى الله عليه وسلم في ليلة مباركة من ليالي شهر رمضان المعظم، مصداقا لقوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين"[1]، وهو يعتبر آخر الكتب السماوية، ودستورا للمسلمين في كل عصر ومنهاجا لهم يرجعون إليه في أمور دينهم ودنياهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وهو الكتاب الوحيد الذي لم يكن عرضة للتحريف والتبديل على خلاف الكتب السماوية الأخرى مصداقا لقوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[2].

ولاشك أن القرآن الكريم يعتبر من المقدسات الإسلامية، كما أن جمع سوره وآياته في المصحف الشريف يجعل لهذا الأخير قدسية لا تقل عن قدسية القرآن الكريم، وقد بين الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن هذا الكتاب لا يمسه إلا الإنسان الطاهر تصديقا لقول الحق تبارك وتعالى: "لا يمسه إلا المطهرون" [3]، فلا يجوز شرعا أن يكون عرضة للتدنيس والإساءة، ذلك أن التعدي عليه مثلما هو التعدي على سائر الرموز الدينية يعتبر مساسا بالقيم والثوابت الدينية للمسلمين.

والمقدسات هي ما تعتبره العقيدة مقدسا سواء كان مكانا معينا أو شيئا معينا من خلاله يفرض احترامه وعدم الإساءة له[4]، فالأماكن المقدسة تتمثل في الحرمين المكي والمسجد النبوي والقدس الشريف، وكل المساجد هي أماكن مقدسة والأنبياء كذلك من المقدسات الإسلامية وكذا الشعائر الدينية، والمصاحف وغيرها من كل الأمور التي تتصل اتصالا وثيقا بالدين الإسلامي.

ويقصد بالمصحف الشريف عند فقهاء الشريعة الإسلامية المصحف الكامل الذي كتبت فيه كل السور القرآنية مرتبة، وهناك من أطلق لفظ المصحف على الصحيفة التي تحوي ثلاث آيات من القرآن، ومنهم من اعتبر الألواح التي يتعلم فيها الصبيان مصحفا كذلك، كما أن هناك فرق بين المصحف والصحف، حيث تدل هذه الأخيرة على الأوراق التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وكانت سورا مفرقة، فلما رتبت الصور صارت مصحفا [5].

وباعتبار المصحف الشريف من المقدسات الإسلامية فإنه كان ولا يزال عرضة للإساءة قديما وحديثا سواء من قبل الكفار، وقد يكون بعض المسلمين مصدر صور من الإساءة من حيث يعلمون أو لا يعلمون، وقد تنوعت مظاهر الإساءة من تكذيب لمحتواه والاستهزاء به، إلى مختلف الأعمال التي تؤدي إلى تدنيسه أو حرقه أو إتلافه وغيرها من الممارسات التي يكون الهدف منها المساس بمشاعر المسلمين، وقد تعرض المشرع الجزائري إلى مظاهر الإساءة إلى المصحف الشريف والعقوبة المقررة له في قانون العقوبات[6] من خلال المادة 160 من هذا القانون.

المنارة للاستشارات

ولدراسة هذا الموضوع ننطلق من طرح الإشكالية التالية: ما هي مكانة المصحف الشريف في الشريعة الإسلامية؟ وما هي مظاهر الإساءة إليه ووسائل حمايته من هذه الممارسات المسيئة له؟

وعليه نجيب عن هذه الإشكالية بالاعتماد على المنهجين الوصفي والتحليلي، وكذلك على المنهج المقارن بمقارنة ماجاءت به الشريعة الإسلامية وما جاء به القانون الجزائري، ويكون ذلك وفق محورين: نتناول في المحور الأول مكانة المصحف الشريف في الشريعة الإسلامية، ونتناول في المحور الثاني الحماية المقررة للمصحف الشريف.

المحور الأول: مكانة المصحف الشريف في الشريعة الإسلامية

يحتل المصحف الشريف مكانة عالية في الشريعة الإسلامية وعند المسلمين عامة، وعليه كل من أراد أن يمس مشاعر المسلمين كانت الوسيلة المؤثرة لديهم هي تدنيس أو تمزيق أو حرق هذا المصحف حتى يتألم المسلم، على اعتبار أن هذا المصحف يحوي كلام الله سبحانه وتعالى من جهة، ومن جهة أخرى رمز من رموز الإسلام ومن المقدسات الإسلامية المطهرة، وعليه لإبراز مكانة المصحف الشريف في الشريعة الإسلامية نتكلم عن القرآن الكريم ككتاب سماوي (أولا)، ثم عن جمع القرآن الكريم في المصحف الشريف(ثانيا).

أولا – القرآن الكريم كتاب سماوي:

إن القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر[7]، وقد وردت لفظة القرآن في المصحف الشريف 69 مرة، منها 53 مرة في السور المكية و16 مرة في السور المدنية، وقد أخذ عدة تسميات منها، الكتاب، الفرقان، الذكر، الروح، الوحي، وكلام الله، ومن بين هذه التسميات الكتاب، فالقرآن كلمة مشتقة من القراءة، أما الكتاب فكلمة مشتقة من الكتابة وهي ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وتسمية القرآن بالكتاب يعتبر من أشهر الأسماء، حيث ذكر في الكثير من الآيات منها قوله تعالى: "الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين"[8]، وقوله عز وجل:"طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين"[9]، وغيرها من الآيات التي ورد فيها لفظ الكتاب، وهذا الأخير يتميز عن كتب الدنيا والكتب السماوية، إذ هو الكتاب الجامع لكل أحكام السماء منذ بداية الرسالات إلى يوم القيامة[10].

وقد نزل القرآن الكريم جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم تتابع نزوله منجما على الرسول صلى الله عليه وسلم طيلة الدعوة الإسلامية مصداقا لقوله تعالى: "بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ"[11]،وهذه دلالة على نزول القرآن جملة واحدة باعتبار وجوده في اللوح المحفوظ، فالكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، فقد نزل القرآن جملة واحدة إلى السماء

المنارة للاستشارات

الدنيا مصداقا لقوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة القدر" [12]، وقوله تعالى:"إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين"[13]، وقوله عز وجل: "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن"،[14]. وفي نزول القرآن الكريم جملة تكريم بني آدم وتعظيم لشأنهم عند الملائكة، وإعلامهم بأن القران الكريم يعتبر آخر كتاب سماوي منزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، كما أنه تأكيد على علو قدر القرآن بكونه نزل في خير الليالي وهي ليلة القدر [15].

وقد نزل القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم منجما أي مفرقا من أجل تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وإمداده بالقوة في مواجهة الكفار مصداقا لقوله تعالى: "وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبث به فؤادك..."[16]، وكذلك تقوية قلبه وتسليته من كثرة نزول القرآن عليه، إذ يجد به الأنس والارتباط بالله تعالى وإعطاء العبرة له وللمسلمين بقصص الأنبياء ومكافحتهم وصبرهم في سبيل إعلاء كلمة الحق وتبليغ الرسائل السماوية[17]، كما أن نزوله مفرقا راجع إلى تفريق التكاليف وعدم تنزيلها دفعة واحدة على الخلق رفعا للمشقة والحرج عليهم، وكذلك من أجل تيسير حفظه وفهمه ليقرأه المسلمون على مهل وترسل [18].

ومن خصائص القرآن الكريم أنه كتاب إلهي يتضمن كلمات الله تعالى الموجهة إلى خاتم أنبيائه فهو إلهي المصدر لفظا ومعنى، وهو كتاب محفوظ من الله عز وجل على خلاف الكتب السماوية الأخرى التي تعرضت للتبديل والتحريف، ويتميز بالإعجاز العلمي سواء من حيث أسلوبه وبلاغته ومعانيه وأخباره، أو من حيث الحقائق العلمية التي أقرها وأثبتها العلماء عبر السنين، وهو كتاب هداية حيث أخرج البشرية من الظلمات إلى النور ومن التخلف إلى الحضارة ومن الذل إلى السيادة، كما أنه صالح لكل زمان ومكان[19]، وغيرها من الخصائص التي تؤكد على قدسية هذا الكتاب.

ثانيا- جمع القرآن الكريم في المصحف الشريف:

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمة لا تعرف القراءة ولا الكتابة مصداقا لقوله تعالى: "هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين "[20]، إلا قليل من قريش وأهل المدينة كانوا يعرفون الكتابة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما هاجر النبي إلى المدينة شجع الكتابة فكان تعليم عشرة من صبيان المدينة مقابلا لفك أسرى معركة بدر الكبرى[21].

وعليه فإن القرآن الكريم مر بمرحلتين في جمعه هما حفظه في الصدور وحفظه في السطور أي كتابته كاملا، أما عن حفظه في الصدور فقد بدأ بحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ما يوحى إليه من آيات عن جبريل عليه السلام، ثم عن طريق حفظه من الصحابة رضوان الله

المنارة للاستشارات

عليهم، ولكن في هذه الفترة لم يتم جمع القرآن الكريم في المصحف الشريف كتابة ولكن تم حفظه شفاهة، وما ساعد الصحابة عل حفظه نزوله منجما كما سبق القول، أما كتابته فبدأت كذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يتم تجميعه في مصحف واحد بل كان مفرقا لدى الصحابة[22]، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر كتاب الوحي بكتابة السور والآيات، وكانوا يكتبونه في جريد النخل أو الجلد وعظام أكتاف الحيوانات، وكتاب الوحي كانوا من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وغيرهم. وعليه فإن القرآن الكريم كان مكتوبا كله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مجموعا في مكان واحد ولم تكن سوره مرتبة، وسبب ذلك أن الصحابة اهتموا بحفظه وتلاوته أكثر من اهتمامهم بجمعه في موضع واحد، والسبب الثاني أن القرآن ما يزال يوحى به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعليه حيث ترد آيات ناسخة لبعض أحكامه.[23]

عندما تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة واجه مشكلة ألا وهي مواجهة المرتدين فحاربهم في معركة اليمامة وقد قتل في هذه المعركة ما يقارب سبعين من حفظة القران الكريم الأمر الذي جعل عمر بن الخطاب يشاور أمير المؤمنين في جمع القرآن الكريم في مصحف واحد خشية ضياعه بمقتل حفاظه لأن الأصل في نقل القرآن هو المشافهة والتلقي، فكلف أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن الكريم، ولقد اختاره أبو بكر الصديق لهذه المهمة نظرا لما هو معروف عليه من الأمانة والصدق إضافة إلى أنه من حفاظ القرآن عن ظهر قلب ومن كتاب الوحي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم[24]، وبعد أن فرغ زيد بن ثابت من تجميع القرآن الكريم أطلق أبو بكر على هذا المجموع من القرآن الكريم المصحف، وتم حفظه عند أبي بكر، ولما توفي سلم إلى عمر بن الخطاب، وبعد وفاة هذا الأخير بقي عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها إلى أن طلبه عثمان بن عفان في خلافته[25].

أما في عهد عثمان بن عفان أراد هذا الأخير أن يوحد المسلمين على مصحف واحد على لسان واحد هو لسان قريش الذي أنزل به، فأرسل في طلب المصحف الموجود عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما بسبب اختلاف القراء في قراءة القرآن ليتم النسخ على أساسه، وهو نفس المصحف الذي تم جمعه في عهد أبي بكر الصديق، وقد أشرفت على هذا الجمع لجنة مكونة من زيد بن ثابت صاحب الجمع الأول، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وجميعهم من قريش إلا زيد بن ثابت فهو من المدينة[26].وكان الهدف من جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان القضاء على الفتنة التي نتجت عن الاختلاف في قراءة القرآن بتجميع كل الأوجه المتواترة فيه والمجمع عليها في تلاوة القرآن، وإبعاد كل ما هو ليس من

المنارة للاستشارات

القرآن، ومن خلال ذلك نسخ ما سمي بالمصحف الإمام الذي نسخت منه مصاحف أخرى أرسلت إلى الأمصار، والتي عرفت فيما بعد بالمصاحف العثمانية [27].

المحور الثاني: الحماية المقررة للمصحف الشريف

باعتبار أن المصحف الشريف من المقدسات الإسلامية لا بد من البحث عن الحماية المقررة له سواء تعلق الأمر بالحماية الشرعية أو الحماية القانونية سواء في ظل الاتفاقيات الدولية أو في التشريع الداخلي، وهذه الحماية ما قررت إلا من خلال انتشار صور الإساءة لهذا المصحف الشريف عبر العالم منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وعليه لا بد من التطرق إلى صور الإساءة للمصحف الشريف (أولا)، ثم إلى العقوبة المقررة للمسئ للمصحف(ثانيا).

أولا- صور الإساءة للمصحف الشريف:

لقد تعرض القرآن الكريم منذ نزوله على نبي الرحمة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم إلى عدة هجومات من الكفار كادعائهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم يفتري على الله هذا القرآن كذبا متناسين أن القرآن الكريم يتميز بقدسية باعتباره كلام الله تعالى، فهو كتاب لم يستطع أحد على طول الأزمان أن يأتي بمثله، وقد كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم دليلا على أن القرآن من وحي الله تعالى، فلو كان هذا الكتاب من صنع البشر ونسبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى لأهلكه الله ودمره[28]، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد استهزؤوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وسخروا منه ونعتوه بالساحر، فقد سحر حسبهم الناس بهذا الكلام المزخرف كما اتهموه بأنه شاعر أو مجنون.[29]

والمصحف الشريف باعتباره حامل للقرآن الكريم تعرض للإساءة من طرف أعداء الإسلام بتدنيسه أي الاعتداء على المصاحف بالقول أو بالفعل سواء تعلق الأمر بالطعن في مصدره الإلهي واعتباره قول البشر كما سبق القول، أو اعتباره مجرد أضغات أحلام ومن الشعر، أو الوصول إلى حد تحريف كلام الله، ويكون التدنيس كذلك بأفعال مادية كدهسه بالأقدام أو وضع المصاحف في المراحيض ودورات المياه، أو استعمال آياته في السحر والشعوذة، أو إحراقه، وغيرها من الأفعال المشينة التي يكون الهدف منها خدش مشاعر المسلمين[30].

وتختلف صور تدنيس المصحف الشريف بين الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري فقد وسع فقهاء الشريعة الإسلامية من دائرة صور الإساءة إلى المصحف الشريف التي تتمثل في سبه والاستخفاف به، امتهانه بالدوس والجلوس عليه ورميه على الأرض، تنجيسه بإلقائه في القاذورات والنجاسات، أو استعمال المواد النجسة في كتابته، وكذلك إتلاف المصحف وإساءة الأدب معه، فسب المصحف الشريف والاستخفاف به يعني شتمه ونعته بأقبح الصفات

المنارة للاستشارات

والاستهزاء به مصداقا لقوله تعالى: "قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون"[31]، أما امتهانه فيتمثل في كل فعل من شأنه إهانته كوضع الرجل عليه إلا للضرورة، كمن كانت يداه مقطوعتان واضطر إلى فتح المصحف برجله، ومن صور امتهان المصحف كذلك الجلوس عليه مباشرة، أما في حالة الجلوس على صندوق فيه مصحف مثلا فقد اختلف الفقهاء في مدى جواز ذلك، ويقوم مقامه الرمي على الأرض كفرا أو حتى كسلا واستعجالا، كما أن تنجيس المصحف من الأفعال المسيئة له، والنجاسات تتمثل في البول والقاذورات والخمر والدم وغيرها، أو استعمال الحبر النجس من أجل كتابته أو الأقلام النجسة المصنوعة من عظام الخنزير أو الميتة، أما إتلاف المصحف فيقصد به إحراقه أو تمزيقه أو دفنه في التراب أو إغراقه في الماء وغيرها من الأفعال التي تؤدي إلى جعل المصحف غير صالح للانتفاع به، أما إذا كان إتلاف المصحف بسبب كونه قديم جدا لم يعد ينتفع به، أو كونه أصابه نجس لا يمكن تطهيره فقد أجاز الفقهاء إتلافه [32].

أما القانون الجزائري في المادة 160 من قانون العقوبات فقد اعتبر الأعمال المسيئة للمصحف الشريف تتمثل في تخريبه وتشويهه وإتلافه وتدنيسه، ويشمل التخريب حرقه أو إغراقه أو دفنه تحت التراب وغيرها من الأعمال التي تؤدي إلى إعدامه، أما تشويهه فيتعلق بالمساس بمظهره الخارجي كالكتابة عليه أو التشطيب فيه، أو إدخال التعديلات عليه كحذف بعض كلماته أو الزيادة فيه، أما الإتلاف فهو كل فعل ينقص من صلاحيته كتمزيق أوراقه، والتدنيس يتعلق بالأفعال التي تمس بطهارته كإلقائه في القاذورات [33].

والأمثلة على تدنيس المصحف الشريف لا تعد ولا تحصى عبر العالم في بلاد الكفار، والغريب في الأمر أنه تمت الإساءة إلى هذا المصحف في بلاد المسلمين من المسلمين أنفسهم. ومن بين الممارسات المسيئة للمصحف الحادثة المعروفة المتعلقة بتدنيس القرآن الكريم على يد الأمريكان في "قوانتانامو" بكوبا، حيث أكد الأسير السابق الأردني وسام عبد الرحمن أحمد أنه كشف إهانة القرآن في "قوانتانامو" على يد المحققين الأمريكيين، حيث وضعوه في المراحيض وتبولوا عليه مما أثار احتجاجات كبيرة في الدول الإسلامية[34].

وقد تفاقمت هذه العمليات المسيئة للمصحف الشريف إلى حد تحريف سوره كالحادثة التي وقعت مؤخرا في ظل أزمة كورونا من طرف جزائرية وتونسية، حيث بدأت الحادثة بنشر الجزائرية "سناء بن ديمراد" من ولاية تلمسان نصا ساخرا حول فيروس كورونا يحاكي سورة (ق) يبدأ بعبارة كوفيد والفيروس المبيد، حيث تم إيقافها بتهم الكفر والعبث بالقرآن والإساءة إلى الإسلام، وبعد مدة قصيرة أعادت نفس الفعل التونسية " آمنة الشرقي" حيث قامت بنشر نص "سناء بن ديمراد" على حسابها الخاص في فيسبوك وقد تم إيقافها كذلك[35].

المنارة للاستشارات

ثانيا- العقوبة المقررة للمسئ للمصحف الشريف:

إن المصحف الشريف يعتبر من المقدسات الإسلامية شأنه في ذلك شأن سائر المقدسات التي لا يمكن المساس بها أو الإساءة إليها بمقتضى نصوص شرعية وحتى قانونية في الدول الإسلامية، ناهيك أن الاتفاقيات الدولية كذلك تؤكد على ضرورة احترام هذه المقدسات منها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أكد على ضرورة حفظ الحريات الأساسية ومنها حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية، والاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري التي تعتبر الاعتداء على حرية الفكر والعقيدة والدين من قبيل التمييز العنصري وغيرها من الاتفاقيات الدولية في هذا الشأن[36].

وقد أجمع فقهاء الشريعة الإسلامية على وجوب احترام المصحف الشريف وتعظيمه وتكريمه باعتباره يحمل كلام الله عز وجل، كما اعتبروا أن الإساءة إليه استخفافا كفر وردة، واعتبروا أن من تعمد إلقاءه في القاذورات كافرا، ونفس الحكم ينطبق على من يقدم على حرقه استخفافا أو كتابته بحبر أو قلم نجس[37]، وغيرها من الأفعال المذكورة سابقا، أما الصور الأخرى التي لا تكون على سبيل الاستخفاف والاستهزاء فاعتبروها معصية، أما العقوبة المقررة في الحالة الأولى فهي عقوبة المرتد لمن يسئ إلى المصحف الشريف استخفافا فإن لم يتب فاعلها قتل ردة، أما من يسئ إلى المصحف الشريف ليس بدافع الاستخفاف وإنما على سبيل الجهل مثلا فالعقوبة تتمثل في التعزير[38].

ولقد جرم قانون العقوبات الجزائري الإساءة إلى المصحف الشريف من خلال المادة 160 منه التي تنص على أنه: "يعاقب بالسجن من خمس إلى عشر سنوات كل من قام عمدا وعلانية بتخريب أو تشويه أو إتلاف أو تدنيس المصحف الشريف".

من خلال هذه المادة فإن المشرع الجزائري اعتبر الإساءة إلى المصحف الشريف جريمة معاقب عليها في قانون العقوبات، ولكي تقوم هذه الجريمة لا بد من توافر ركنيها المادي والمعنوي، فيتمثل الركن المادي في كل عمل من شأنه المساس والإساءة إلى المصحف الشريف، وقد حددت المادة 160 هذه الأعمال التي تم التطرق إليها في صور الإساءة إلى المصحف الشريف وتتمثل في أفعال تخريبه وتشويهه وإتلافه وتدنيسه، ويشترط في هذه الأعمال المكونة للركن المادي للجريمة العلنية والمجاهرة بالعمل أي قد وصل إلى علم أو سماع الآخرين أن هذا الشخص قد قام بأعمال مسيئة للمصحف الشريف أو أن يقوم هو بها في مكان عام، أو يقوم بتسجيل هذه الأفعال على شكل فيديو ويقوم ببثه على النت مثلا، أما الركن المعنوي فيتمثل في صدور هذه الأفعال المسيئة للمصحف الشريف عمدا أي عن قصد حيث يكون الهدف منها الإساءة إليه أو المساس بمشاعر المسلمين[39].

المنارة للاستشارات

ومن خلال المادة 160 من قانون العقوبات فإن العقوبة المقررة لمن يسئ للمصحف الشريف تتمثل في السجن من خمس سنوات إلى عشر سنوات، وتطبيقا لذلك حكمت محكمة الجنح ببسكرة على سيدة رمت المصحف الشريف في سلة المهملات بعدما مزقته ب 10 سنوات سجن[40]. كما تم توقيف ستيني يمارس السحر والشعوذة عن طريق تدنيس المصحف الشريف بالنعامة، حيث تم حجز مصاحف مدنسة وعليها آثار التمزيق كان يستعملها في طقوس السحر وقدم أمام النيابة العامة لدى محكمة "المشرية" بجنحة تدنيس المصحف الشريف[41]. كما تم إدانة ستيني يدعى عمي السحار ب 3 سنوات حبس نافذ لاحترافه السحر والشعوذة أوقف تلبسا بتدنيس المصحف الشريف بسائل أصفر ذي رائحة كريهة كان يدعي أنه يقوم بالرقية الشرعية[42].

وفي السعودية وصلت عقوبة تدنيس المصحف الشريف إلى الإعدام لوافد من جنسية عربية أهان القرآن داخل أحد السجون بلطخه بقاذوراته ووضعه داخل أحد المساجد وقد تكرر فعله عدة مرات[43].

خاتمة:

من خلال ما سبق دراسته في هذه المداخلة تبين أن للمصحف الشريف حرمة كبيرة وقدسية عظيمة لا تقل عن قدسية الأماكن المطهرة والأشياء والأشخاص لأنه يحوي كلام الله عز وجل من جهة، ومن جهة أخرى فإنه وعاء آخر الكتب السماوية التي أنزلت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى البشرية جمعاء، وعليه لا بد من تعظيم هذا المصحف واحترامه وتقديسه وحمايته من كل الأفعال التي تحط من قيمته أو تمس بحرمته أو تمتهنه وتدنسه. والمصحف يطلق على الكتاب الذي يحوي كل السور القرآنية مرتبة من عهد عثمان بن عفان، وهو ذلك الكتاب السماوي الذي أنزله الله تعالى إلى السماء الدنيا في اللوح المحفوظ جملة واحدة في ليلة مباركة من ليالي شهر رمضان المبارك، ثم نزل منجما أي متفرقا على النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام لتثبيت فؤاد النبي به ومده بالقوة لمواجهة الكفار وتيسير حفظه والتدرج في التكاليف.

وقد تم جمعه حفظا في الصدور عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أمر النبي كتابته من قبل الصحابة الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة، وكانوا يكتبونه في جريد النخل أو الجلد وعظام أكتاف الحيوانات، ولكن لم يكن مجموعا في مكان واحد ولم تكن سوره مرتبة، وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله كلف هذا الأخير زيد بن ثابت بجمع القرآن الكريم، وأطلق أبو بكر على هذا المجموع من القرآن اسم المصحف الشريف. أما عثمان بن عفان فقد قام بتوحيد المسلمين على مصحف واحد على لسان واحد هو لسان قريش الذي أنزل به، فنسخ ما سمي بالمصحف الإمام الذي نسخت منه مصاحف أخرى فيما بعد بالشكل الموجود حاليا.

المنارة للاستشارات

وكون المصحف الشريف من المقدسات الإسلامية فإنه تقررت له حماية سواء في الشريعة الإسلامية أو في القانون الجزائري نظرا لانتشار مظاهر الإساءة إليه منذ نزول القرآن على نبينا صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وذلك بالاعتداء عليه قولا وفعلا كالتشكيك في مصدره الإلهي أو نعته بالشعر أو حتى تحريف كلماته وآياته، أو بتدنيسه وضع المصاحف في المراحيض ودورات المياه، أو دهسه بالأقدام، أو إحراقه، وغيرها من الممارسات المسيئة له.

وقد أجمع فقهاء الشريعة الإسلامية على تحريم الإساءة إلى المصحف استخفافا واعتبروا فاعل ذلك كافرا ومرتدا، أما الأفعال الأخرى التي لا تكون على سبيل الاستخفاف فاعتبروها معصية،كرميه جهلا أو كسلا، أما العقوبة المقررة في الحالة الأولى فهي عقوبة الردة وهي القتل إن لم يتب صاحبها، أما في الحالة الثانية فالعقوبة هي التعزير.

والمشرع الجزائري جعل العقوبة المقررة للمسيئ للمصحف الشريف تتمثل في السجن من خمس سنوات إلى عشر سنوات.

وأخيرا نصل إلى التوصيات التالية:

- تعديل المادة 160 من قانون العقوبات الجزائري بتوسيع نطاق الصور المسيئة للمصحف الشريف، وتشديد العقوبة المقررة بما يتناسب والعقوبة المقررة في الشريعة الإسلامية، وبما يتناسب أيضا وعظم وقدسية هذا الكتاب.
- إنشاء جمعيات حقوقية مهمتها الدفاع عن المصحف الشريف.
- ضرورة إصدار البيانات المستنكرة لأفعال التدنيس والإساءة للمصحف الشريف من قبل العلماء.
- بيان الحكم الشرعي في مثل هذه الأفعال عن طريق التوعية في المدارس والمساجد.

الهوامش:

[1] - سورة الدخان، الآية 3.

[2] - سورة الحجر، الآية 9.

[3] - سورة الواقعة، الآية 79.

[4] - قحقاح وليد، الحماية الجنائية الدولية للمقدسات الدينية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد العاشر، العدد 2، 2017، ص 236.

[5] - صالح بن محمد الرشيد، المتحف في أحكام المصحف، مؤسسة الريان، لبنان 1424هجرية، 2003 م، ص ص 115، 116.

[6] - قانون رقم 15-19 المؤرخ في 18 ربيع الأول 1437 هجرية الموافق ل 30 ديسمبر 2015، يعدل ويتمم الأمر رقم 66-156 المؤرخ في 18 صفر 1386 الموافق ل 8 يونيو 1966، والمتضمن قانون العقوبات، الجريدة الرسمية عدد71، المؤرخة في 18 ربيع الأول 1437 هجرية الموافق ل 30 ديسمبر 2015.

المنارة للاستشارات

[7] – علي محمد محمد الصلابي، الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية، 22 نوفمبر 2015، دون دار نشر، ص 5.

[8] – سورة الحجر، الآية رقم 1.

[9] – سورة النمل، الآية رقم 1.

[10] – جملات عيد محمود أبو ناصر، لفظة القرآن في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، غزة، فلسطين، ، 1432هجرية/2011م، ص 8، 10، 24.

[11] – سورة البروج، الآيتان 21 و22.

[12] – سورة القدر، الآية 1.

[13] – سورة الدخان، الآية 3.

[14] – سورة البقرة، جزء من الآية 185.

[15] – أبو أروى رضوان إبراهيم لخشين، معالم الرحمة في تنزيل القرآن الكريم، المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، ص 448.

[16] – سورة الفرقان، جزء من الآية 32.

[17] – خالد عثمان حمدامين، الحكمة من نزول القرآن الكريم منجما، جامعة يوزنجوييل، تركيا، معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا قسم العلوم الإسلامية، تركيا، 1440هجرية /2018 م، ص 9 وما يليها وص451.

[18] – أبو أروى، المرجع السابق، ص 458.

[19] – علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 23 وما يليها.

[20] – سورة الجمعة، الآية 2.

[21] – عبد الفتاح القاضي، تاريخ المصحف الشريف، مكتبة الجندي، مصر، دون سنة طبع، ص ص 9، 10، 11.

[22] – عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، دون سنة طبع ولا دار نشر، ص353 وما يليها.

[23] – عبد الفتاح القاضي، المرجع السابق، ص ص 15، 16.

[24] – سيف الحتف، القران الكريم بين ثبوت الحفظ ودعاوى التحريف، شبكة كلمة سواء للدعوى، دون سنة طبع ولا دار نشر، ص 16، – عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، المرجع السابق، ص 365.

[25] – علي بن سليمان العبيد، جمع القرآن حفظا وكتابة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 1421هجرية، ص ص 509، 510.

– سيف الحتف، المرجع السابق، ص24 [26].

[27] – محمد شرعي أبو زيد، جمع القرآن في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث، بحث تكميلي للحصول على درجة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة، جامعة الكويت، 1419هجرية، ص 11إلى 117.

[28] – مصطفى ثابت، قدسية القرآن الكريم، مجلة التقوى، المجلد 18 العدد 5، رجب وشعبان 1426هجرية، سبتمبر 2005، دون مكان نشر، ص 23.

[29] – جملات عيد محمود أبو ناصر، المرجع السابق، ص ص 22 و124 وما يليها.

المنارة للاستشارات

[30] – احمد بن عبد الله بن احمد الحصيني، حماية القرآن الكريم من تدنيس المعتدين، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، العدد الثالث، المجلد الرابع، دمنهور، مصر، 2018، ص 494 وما يليها.

[31] – سورة التوبة، الآية 65.

[32] – صالح بن محمد الرشيد، المرجع السابق، ص 37 وما يليها.– عبد السلام عبد القادر، الحماية الجزائية للدين الإسلامي، دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الجزائري، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، تخصص شريعة وقانون، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006/2005، ص176 وما يليها.

[33] – عبد السلام عبد القادر، المرجع السابق، ص 181، 182.

[34] – تدنيس القرآن على يد الأمريكان– الجريمة وأبعادها، 2005/05/31، مقال منشور على الموقع الإلكتروني التالي: *ar.islamway.net*، تاريخ التصفح2021/01/20، الساعة 14 زوالا.

[35] – حسن سلمان، آيات من وحي كورونا تثير جدلا كبيرا في تونس والجزائر، 7ماي 2020، مقال منشور على الموقع الإلكتروني *alquds.co.wk*. تاريخ التصفح 2021/01/22، الساعة 10و 30د.

[36] – قحقاح وليد، المقال السابق، ص 243.

[37] – عادل مقراني، أحكام إتلاف المصحف الشريف، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، المجلد29، العدد2، 2019، ص 145 وما يليها.

[38] – صالح بن محمد الرشيد، المرجع السابق، ص79، 83، 104، 108، 193. – عبد السلام عبد القادر، المرجع السابق، ص185.

[39] – عبد السلام عبد القادر، المرجع السابق، ص 183، 184، 186.

[40] – حكيم ع، 10سنوات سجنا لسجينة دنست القرآن ببسكرة، مقال منشور على الموقع الإلكتروني التالي: *www.echouroukonline.com*، تاريخ التصفح 2021/01/20، الساعة 15 زوالا.

[41] – نسرين محفوف، بالصور.. توقيف ستيني يمارس السحر والشعوذة عن طريق تدنيس المصحف بالنعامة 2020/09/17، مقال منشور على الموقع الإلكتروني التالي: *www.ennaharonline.com*، تاريخ التصفح، 2021/01/22، الساعة 18و15 د.

[42] – صفي ز، 3 سنوات حبسا لمشعوذ بتهمة تدنيس المصحف الشريف بوهران، 2019/09/29، مقال منشور على الموقع الالكتروني التالي: *eldjoumhouria.dz*، تاريخ التصفح، 2021/01/22، الساعة 19.

[43] – السعودية: الحكم بالإعدام على وافد اعتاد تدنيس القرآن بفضلاته 2017/04/18، مقال منشور على الموقع الإلكتروني التالي:*www.alwatanvoice.com*، تاريخ التصفح 2021/01/23، الساعة 10.

المنارة للاستشارات